لندن العام ١٩٤٦، يحضره ممثلون عن الدول العربية، للبحث في المشكلة الفلسطينية. وتقدّمت بريطانيا بـ «مشروع موريسون» الذي قضى بانشاء دولة اتحاد في فلسطين، فيعطي القسم الأكبر والاخصب لليهود، وتتمتع المنطقة العربية واليهودية بقسط من الحكم الذاتي تحت اشراف الحكومة المركزية. ولقد رفض العرب هذا المشروع، ذلك لأنه يغتصب أفضل الاراضي الفلسطينية ويسمح بالهجرة اليهودية المطلقة.

وازاء احساس بريطانيا بأن الحرب العالمية الثانية انهكتها، وادراكاً منها لدور الولايات المتحدة الذي تقدّم فيما بعد الحرب، ولمحاولة الافلات من اغضاب العرب، فقد طلبت، في نيسان (ابريل) ١٩٤٧، ادراج الموضوع في جدول أعمال الدورة العادية للجمعية العامة للامم المتحدة. وكما أشرنا من قبل، اعدّت اللجنة الخاصة بدراسة موضوع فلسطين مشروعها الخاص بتقسيم فلسطين، وهو مشروع الأغلبية، والذي تمّ التصويت عليه بالموافقة.

وعلى الرغم من الاحساس العام لدى العرب بالمرارة في الفترة تلك، وتصاعد العمليات بين العرب والصهيونيين، الّا ان بريطانيا لم تعمل على تهدئة هذه الاوضاع، بل لقد أعلن بيفن، في ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧، في البرلمان البريطاني، قرار الحكومة بانهاء الانتداب، ابتداء من ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨، وسحب جميع القوات البريطانية[٤٢].

وعلى الجانب الآخر، لم يتوقع العرب من بريطانيا ان تكون جادّة في الانسحاب وانهاء الانتداب، الّا انه ازاء اصرارها بدأت تنكشف النوايا. فمع تهديداتهم من خلال الالفاظ والعبارات المفخّمة التي لا تحتوي مضموناً، فانهم، كما اشرنا، لم يكن لديهم استعداد لخوض قتال، وكانت الوكالة اليهودية تعلم ان العرب غير مهتمين بالزج بأنفسهم في هذه المشكلة، وليسوا على استعداد لمواجهة القوى الكبرى.

وفي الوقت عينه، كانت بريطانيا ترى ان العرب لو قبلوا بقيام دولة يهودية، فانهم سيقاومون توسّعها؛ وكانت خطتها متجهة الى تسليم كل منطقة طبقاً لقرار التقسيم، ولذلك فان عدم تعاون بريطانيا مع اللجنة الخماسية التي عهد اليها من قبل مجلس الامن متابعة تنفيذ التقسيم[٤٣] أثار حفيظة الصهيونيين ضد بريطانيا. حتى لقد ذهب البعض منهم الى اثارة عديد من الشكوك بشأن موقف بريطانيا، وانها حرّضت العرب على القتال بهدف العمل على استمرار الانتداب. ولقد ذهب دافيد بن ـ غوريون الى حد القول ان الحرب بدأت قبل انهاء الانتداب، وان القوات «الغازية» تلقّت اسلحتها وعتادها من بريطانيا؛ بل وأطلق بن ـ غوريون عبارة «مؤامرة بيفن القبيحة» على دور بريطانيا في «مساندة» العرب[٤٤].

وعلى الجانب الآخر، فان العرب، أيضاً، اتهموا بريطانيا بأنها، وان حرّضت على قتالهم، الّا انها تعلم من قبل بأن الجيوش النظامية العربية سوف تمنى بهزيمة، تعزز، فيما بعد، مبرّر احتلال بريطانيا لمصر وشرق الاردن والعراق. ولقد كان التصوّر العربي ان بريطانيا، بانهاء انتدابها وانسحابها، تعود باسلوب يضمن لها قسطاً من الغنم دون ان تتحمّل وحدها كل الغرم[٤٥].

وبصفة عامة، يمكن القول ان الحكومة البريطانية كانت مترددة في سياستها تجاه فلسطين، وان وازنت، دائماً، بين مصالحها في المنطقة. وهي، في هذا، تقارن بين ودّ العرب والحرص، الى حد ما، على عدم اغضابهم، وبين ثقل المصالح المحققة لها بوجود الصهيونيين في فلسطين. ولو ان موقفها ـ كما علّق عليه البعض ـ في فترات ما اتسم بالحياد، الّا انها كانت مؤيدة، تماماً، للتقسيم، دون